AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

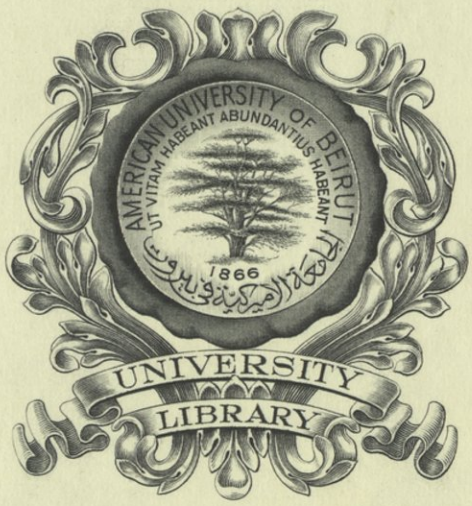

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

297
B451A
c.1

الشبان المسلمون بتونس
تحت اشراف الجمعية الخلدونية

الاسلام

دين عقيدة وعمل . فما هو حظ المسلمين اليوم منهما ؟

نص المسامرة التي قام بها الشيخ العلامة المفضال الاستاذ « محمد المختار بن محمود » المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة المعمور والعضو بالمجلس المختلط ؛ وذلك يوم الخميس ٢١ رمضان المعظم سنة ١٣٥٣ بجمعية الشبان المسلمين

عنيت بنشرها مكتبة الرجاء لصاحبها عبد القادر سلامه بنهج الكتبية بتونس

حقوق الطبع محفوظة للشبان المسلمين بتونس

« الثمن فرنكان »

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

مقدمة

ايها القراء الافاضل ،

نقدم اليكم هاته المسامرة كانموذج اعمال اخذ « الشبان المسلمون » على عاتقهم القيام بها وعاهدوا ربهم ان يسيروا على منوالها فتقبلوا منا هاته التحفة ورجاؤنا وطيد ان نجد منكم معاضدة قلبية مخلصة في نشر الفضيلة ومكارم الاخلاق بين وسطنا والسلام .

الشبان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

الاسلام دين عقيدة وعمل
فما هو حظ المسلمين اليوم منهما ؟

الحمد لله العليم الحكيم . المتصرف في ملكه بما تقتضيه حكمته العلية . وبما يعود بالخير والبركة على عموم الانسانية ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد مصدر الكمالات والفضائل ومسديها ، ومعيدها ومبديها ، وعلى آله واصحابه الذين سمعوا القول فاجابوا ، ودعوا الى الله فانابوا ، وسلم تسليما .

ايها السادة الفضلاء ،

لما طلبت مني جمعية الشبان المسلمين القائمة تحت اشراف الجمعية الخلدونية ان القي اليكم مسامرة في هذه الليلة . ولم تقيدني فيها بموضوع خاص بقيت برهة افكر في الموضوع الذي احدثكم فيه ثم اهتديت بسرعة الى اختيار موضوع يكون مشتقا من اسم الجمعية نفسها .

فالجمعية جمعية « الشبان المسلمين » . فليكن الموضوع الذي اتكلم فيه يتعلق ببيان الاسلام وبيان ما اشتمل عليه وما دعا اليه . ثم النظر في حال المسلمين اليوم . ومقدار عملهم بشريعتهم التي يتفاخرون بها ويدافعون عنها في كل مناسبة . وهل حالتهم العملية تبرر لهم هذا التفاخر ام هي حالة اسيفة بعيد ما بينها وبين الشريعة الاسلامية

بعد السماء عن الارض ، فيكون الواجب عليهم حينئذ ان يتاسفوا شديد الاسف ، وان يحزنوا شديد الحزن على نعمة انعم الله بها عليهم ومنة ادخرها الله لهم ، فقابلوا النعمة بالكفران ، وتلقوا المنة بالطغيان .

فلما استقر الراي على هذا جعلت عنوان المسامرة : الاسلام دين عقيدة وعمل فما هو حظ المسلمين اليوم منهما ؟

فلنشرع الآن في الموضوع ؛

ايها السادة ،

لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يكون نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وان تكون امته خير امة اخرجت للناس ، وان تكون شريعته التي جاء بها خاتمة الشرائع ، وناسخة لجميع الاديان المتقدمة ، وان تكون هذه الشريعة باقية الى قيام الساعة ، وفرض العمل بها على الناس كافة ، على اختلاف الاقطار وتباعد الامصار ، وتعدد العوائد واختلافها ، وتشتت الاعتقادات وتناقضها ،

لما اراد الله ذلك جعل هذه الشريعة الاسلامية شاملة لجميع النظامات ، متكفلة بجميع المصالح ، محتوية على كل ما يحتاج اليه الناس في مصالحهم في الدنيا والاخرة فجاءت للبشرية كشمس اشرقت على عالم تراكمت ظلماته واختلت نظاماته ، وتوالت فيه الفتن ، واستولت فيه على الناس الاحقاد ، وتغلغل فيهم الفساد ، فلما القت اشعتها على هذا العالم تجلت الظلمات ، واستقامت النظامات ، واخمدت الفتن ، واقتلعت من النفوس جذور البغضاء والاحقاد ، واستقر العدل بين الناس وازيل الفساد ،

فدخلت عند ذلك الانسانية في طور من السعادة جديد وتمتعت بالحياة الهنيئة والعيش الرغيد ،

واستقر الاسلام في النفوس ، وانتشر في الامم ، وقامت الدولة الاسلامية وخفقت اعلامها على ربى الممالك والشعوب ، فبدت شعائر الاسلام في المظاهر والقلوب ، ودخل الناس افواجا في دين الله ، واجتمعت كلمتهم على توحيد الله ،

* * *

وقد وضع الله لعباده دستورا تولاه يحفظه . واقام عليه سورا من رعايته ووقاه من الزيادة والنقصان . وجعل مقره الصدور فلا يلحقه سهو ولا نسيان . الا وهو القرآن المجيد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولما كان نظام الحياة ينبني على امور متعددة . اذا اختلت يختل توازن هذا النظام . فقد جاء القرآن موضحا لهذه الامور . مقررا لها بابلغ اسلوب وباوضح تعبير . والامور التي يتكون منها نظام الحياة يمكن ضبطها على سبيل التقريب فيما ياتي :

اولا — العقيدة

ثانيا — التكاليف الالاهية التي يطالب بها كل شخص في نفسه

ثالثا — الاخلاق التي يجب على كل انسان ان يتحلى بها

رابعا — المعاملات التي تقع بين الناس في اوساط خاصة

خامسا — الاعمال التي تقع من الانسان ويكون منظورا فيها الى عموم الوسط الذي يعيش فيه .

سادسا — نظام الدولة في داخليتها .

هذه فيما يظهر هي جملة الامور التي يتكون منها نظام الحياة . وقد جاءت شريعة الاسلام مقررة لها . موضحة لكل نوع منها . مشتملة على المقدار الكافي لاستقامة النظام بالنظر لكل نوع .

وهذا مقام لا غنى فيه عن التفصيل . حتى تكون الدعوى مقرونة بالدليل فنقول :

اولا — العقيدة

اما العقيدة . فالمراد بها الامور الراجعة للاعتقاد من غير ان يكون معها عمل . وشريعة الاسلام قد جاءت بعقيدة واضحة جلية . لا لبس فيها ولا التواء ولا غموض وهي الايمان بالله . وبكتبه ورسله واليوم الآخر . وبالقدر خيره وشره .

وبكل الامور الغيبية التي اخبر بها في القران او في الحديث الشريف، كالجنة والنار، والمحاسبة على الاعمال، وعذاب القبر، والصراط والميزان وغيرها.

واعتقاد هذه الاشياء والايمان بها هو الذي مدح الله به المتقين من عباده في قوله تعلى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون».

فهذا هو ما اوجب الله على عباده من الامور الاعتقادية، وهي واضحة جلية، ليس فيها خفي وظاهر، وليس فيها ما يختص فهمه بفريق من الناس دون آخر، بل يستوي في ادراك ذلك جميع الناس، ويجب على جميعهم معرفته بتفصيل، لان هذا هو اساس العقيدة، التي هي اول الواجبات على جميع المكلفين.

ثانيا ـ التكاليف الالاهية التي يطالب بها كل شخص في نفسه

واما التكاليف الالاهية التي يطالب بها كل شخص في نفسه فهي الامور التي فرض الله على عباده فعلها، والامور التي فرض الله على عباده تركها، فقد فرض على عباده الصلاة والصوم والزكاة والحج وفرض عليهم طاعة الوالدين وغير ذلك، وحرم عليهم الشرك بالله، وقتل النفس وشرب الخمر، والزنا، واكل الميتة واكل الخنزير، والربا، واكل اموال الناس بالباطل، وغير ذلك.

ثالثا ـ الاخلاق التي يجب على كل انسان ان يتحلى بها

واما الاخلاق التي يجب على كل انسان ان يتحلى بها،

فلا يخفى عليكم، ايها السادة، ان الاخلاق هي الميزان الذي توزن به الامم ليحكم لها او عليها، وبمقدار ما يكون للامة من الفضائل والاخلاق الحميدة بمقدار ما تحرز عليه من التقدم والمكانة بين الامم، وبمقدار ما تكون عليه من سافل الاخلاق وسوء التربية بمقدار ما تسقط الامة وتداس ولا يقام لها وزن.

ولما اراد الله ان تكون هذه الامة خير امة اخرجت للناس فقد مهد لها لذلك بما فرضه عليها من التحلي بالاخلاق الكريمة .

فكان من اعظم ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم قول القرآن فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » . وكان من اهم الاوصاف التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، قوله : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وقد تكونت للمسلمين ثلاثة مصادر يستقون منها مكارم الاخلاق . وهي القران الكريم . وكلام النبي صلى الله عليه وسلم . وعمله .

فكانت شريعة الاسلام بمجموعها انفس كتاب اخلاقي اذا عملت به الامة وسارت على هديه . ثبتت لها المزية واستحقت التقدم والافضلية . وهذا مقام يحتاج الى زيادة التوسع فنقول :

اشتمل القران العظيم على جميع صفات الكمال . ومحاسن الاخلاق . فامر الله على عباده بها فخرجت بذلك عن ان تكون مجرد اداب . وصارت امورا تكليفية كسائر التكاليف الشرعية المفروضة . فاعجبوا لهذه الشريعة كيف جعلت الاخلاق من باب التكاليف . ففرضت على هذه الامة محاسن الاخلاق فرضا . حتى تكون تحق خير امة اخرجت للناس .

ومحاسن الاخلاق قد تكفل القران والحديث بذكرها جميعا . بحيث ما على متطلب الكمال الا التدبر فيها . والعمل بمقتضاها فيصبح من اكمل الناس وارقاهم ويكون اجدرهم بالرعاية واولاهم . ولنتعرض هنا لتفصيل ما دعى اليه القران من محاسن الاخلاق فقد جاء فيه الامر بالحلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الاذى في سبيلهما . فقال الله تعالى في سورة الاعراف ،

« خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين »

وقال الله تعلى في سورة فصلت ،

« ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم »

وجاء في القران النهي عن احتقار الناس بعضهم لبعض . والنهي عن التعيير والسباب والنهي عن العمل بالظن والاصاخة لقول الواشين من الناس الذين لا

يريدون الا ايقاد الفتن واثارة الكامن من الاحقاد . والنهي عن التجسس والتطلع الى عورات الناس وعن الغيبة وانتهاك الاعراض . وعن النميمة التي هي من اشد الفتن . ومن اعظم الاخطار . فقال الله تعلى في سورة الحجرات .

« يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم . ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان . ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن . ان بعض الظن اثم . ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم . يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وقال الله تعلى في سورة القلم ،

« ولا تطع كل حلاف مهين همماز مشاء بنميم » .

ولا بد من وقفة على آية الحجرات . فانظروا حفظكم الله ورعاكم . هذا المثل العجيب الذي ضربه القرآن للمغتاب الذي يذكر اخاه في غيبته بما يكره . فشبه المغتاب عند مغيبه بالميت . وجعل من اغتابه بمثابة من ياكل لحمه وهو ميت . وعبر عنه بالاخ وفي هذا التعبير اللطيف من الزجر ما لا يخفى . لانه يقول له ان من نبشت قبره . وكشفت ستره . ونهشت لحمه . هو اخوك . وكل انسان ولو كان عديم المروءة . لا تسول له نفسه الاعتداء على اخيه . ولا يرضى ان يصدر منه ذلك ولا ان ينسب اليه .

وجاء في القران النهي عن الكبر وعن شدة رفع الصوت بما ينافي الادب والاحتشام . وعن الخيلاء في المشي والصلف عن الناس . فقال الله تعالى في سورة لقمان على لسان لقمان لابنه :

« يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير »

وجاء في القرآن النهي عن مجاراة سفهاء الناس لان ذلك يزيل الهيبة ويرفع الوقار . كما جاء فيه الحث على السعي الى الكمال وعلى ان يصل الانسان الى درجة رفيعة في الفضل حتى يصير قدوة لغيره . ولا يخفى ان الانسان لا يصل الى مرتبة القدوة الا بعد ان يكون محرزا على اوفر نصيب من التقوى ومكارم الاخلاق فقال الله تعالى في سورة الفرقان

« وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما . اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما »

وقد جاءت في القران آية هي اجمع آيات الاخلاق فيه . حيث ذكر فيها على نسق واحد اصول محاسن الاخلاق باجمعها . فابتدئت بالامر طاعة الوالدين والاستماته في هذه الطاعة الى اعد حد . حتى لا يجوز الاعتداء عليهما ولو باتفه شيء واصغره . ثم جاء فيها الامر بايتاء الناس حقوقهم وعدم الاستهانة بحق اي انسان ولو كان حقيرا ذليلا ليس له من يدافع عنه . ثم النهي عن الاسراف في المال الذي هو اهم اسباب اختلال الحالة الاقتصادية في الامة ويفضي الى افلاس صاحبه وبقائه ذليلا حقيرا بين الناس بعد ان كان عزيزا رفيع القدر — والنهي عن التقتير في الحياة لما فيه من عدم الاستمتاع بما بسط الله لعباده من خير ورزق واراد منهم ان يتمتعوا به . مع الاشارة الى الحالة الوسطى التي هي اكمل الحالات واقربها الى

احسن النظام في الحياة . ثم النهي عن قتل الاولاد خوفا من الفقر مع ان الله تعالى هو المتكفل برزقهم . ويدخل في هذا ما تفكر فيه الآن بعض الدول من تعقيم النسل وتحديده . ثم النهي عن الزنا وعن قتل النفس . واثبات حق القصاص لولي المقتول وهو الامر الذي رجعت الى العمل به بعض الدول الكبرى في هذا الزمان التي كانت لا تحكم به من قبل كالدولة الانقليزية والدولة الطليانية . ثم النهي عن الاعتداء على مال اليتيم — واليتيم اقرب الناس لان يعتدى عليه لضعفه ولانه لا مدافع عنه ولا نصير فلذلك جاء القران بتشديد الامر فيه . وكرر الحديث عنه في مواضع متعددة . وما خرب الديار وواجب لاصحابها الخزي والذل والعار . الا اكل اموال الايتام . التي لا تعود على اكلها الا بالسحق والهلاك وتراكم الآثام . ثم الامر بالوفاء بالعهد والمحافظة على ما يعاهد به الانسان غيره . حتى لا تنعدم الثقة ويختل التعامل . ثم الامر بايصال الناس الى حقوقهم من غير تطفيف ولا تنقيص . ثم النهي عن الذهاب مع الظن . والحكم على الناس بغير علم والقاء التهم الباطلة على الابرياء ثم النهي عن الحيلاء على الناس والمشي بينهم بحالة تؤذن بالكبر والترفع عنهم . لما في ذلك من سوء التربية ولما يجلبه لصاحبه من كره الناس ومعاداتهم له .

هذه الاحكام كلها . وهذه الاخلاق العالية بتمامها جمعتها اية الاسراء وهي قول الله تعالى

« وقضى ربك ان لا تعبدوا الّا اياه . وبالوالدين احسانا . إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . ان ان ربك بسيط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن

قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا . واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا

ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا . ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها . ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله اله آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا »

هذا بعض ما دعا اليه الاسلام من مكارم الاخلاق وهو كما ترون كاف لتكوين امة تكون ارقى الامم على الاطلاق في الاداب ومكارم الاخلاق . سائرة على ابدع نظام مجموعة الكلمة موفورة الكرامة لا يدخل بين صفوفها فساد ولا تفرق ولا انثلام وفيما ذكرناه في هذا الباب كفاية . اذا لوحظ بعين العناية وقرن فيه بين العلم والعمل . لان العلم اذا لم يصحبه العمل فالجهل منه اجمل .

رابعا ـ المعاملات التي تقع بين الناس في اوساط خاصة

واما المعاملات التي تقع بين الناس في اوساط خاصة فقد اردنا بها المعاملات الدنيوية التي تقع بين الناس وتكون جارية بين اثنين او بين جماعة معينة وهذا باب عظيم من اوسع ابواب الشريعة واكثرها انتشارا وابسطها قولا وهو على سبيل التقريب يشغل نصف الشريعة . لان هذه الشريعة كما اشرنا اليه سابقا شريعة دنيا ودين فكما اشتملت على العقائد والتكاليف والاخلاق اشتملت ايضا على نظام الحياة الدنيوية من جميع وجوهها . وهذه المعاملات يمكن ان نضبطها على سبيل التقريب في قسمين وهما

المعاملات الزوجية

والمعاملات المالية

اولا ـ اما المعاملات الزوجية وهي ما تسمى في عرفنا بالاحوال الشخصية فقد وضع لها الشرع الاسلامي نظاما محكما منضبطا مبينا فيه جميع الاحكام الراجعة الى الزوجية والمتفرعة عنها .

فضبط الشرع اولا كيفية وقوع الزواج وما يحل منه وما يحرم ثم بين ما هي

الاحكام التي تنبني على الزواج ولما كانت المسائل المالية من اهم ما يريد الشارع بيانه وضبطه لانها من اهم اسباب الخلاف والخصام فقد وضع باب خاص بالمهر وباب خاص بالنفقات حتى يكون امرهما واضحا جليا لجميع الناس . ثم لما كان من المفروض ان عقدة النكاح قد تنفصم - وان كان انفصامها ابغض الاشياء الى الله - ويترتب على انفصامها مشاكل تتعلق بالاولاد وبكفالتهم ثم ترجع وبحياة الزوجة بعد فسخ النكاح . فقد وضعت في الشريعة ابواب تختص بكل واحد منها فجاء باب الطلاق وما يتفرع عنه من التفاصيل وما يتنوع اليه من الانواع وجاء باب الحضانة وباب العدة وكان جميع ذلك مبسوطا مفصلا بغاية الاحاطة والتوضيح .

ثم لما كان من المباح شرعا تعدد الزوجات . وكان ذلك مظنة الاعتداء على بعضهن والتهاون بحقوقهن . وكان من مقاصد الشرع التي نيط بها تلك الاباحة ان يحافظ على الحقوق . وان لا يتعدى احد على النساء اللاتي هن جنس ضعيف وقد يتساهل كثير من الناس في الاعتداء عليهن . فقد وضع في الشريعة باب خاص بهذا الموضوع احاط به وبين ما يجب على كل انسان نحو زوجاته . وحرم على الزوج ان يتعدى على احداهن ولو بابسط انواع التعدي -

ثانيا - واما المعاملات المالية وهي التي يعبر عنها في عرفنا بالنوازل المدنية . فقد جاءت ايضا مفصلة في الشريعة منضبطة من جميع وجوهها . بحيث اذا مررت بنظرك على فهرست من فهارس كتب الفقه وجدت فيه جميع انواع المعاملات بكل ما يتعلق بها من التفاصيل والصور . حتى انه اذا نظرت الى احدث قانون من قوانين الامم غير الاسلامية لا تجد به بابا غير موجود نظيره في كتب الفقه .

فتجد البيع - وهو اكثر المعاملات انتشارا - مفصلا بجميع ما يتعلق به من شروط وانواع مع بيان ما يصح من الشروط وما لا يصح . وبيان الصحيح من البيع والفاسد والباطل . وتجد انواع الخيارات .

ويدخل في انواع البيع الصرف والسلم والمقايضة .

ثم تجد بعد البيع الاجارة بانواعها . سواء كانت في العقارات او المنقولات . مع تفصيل شروط الاجارة وما يصححها وما يفسدها - ثم تجد الرهن بجميع ما يتعلق به من التفاصيل وما يجوز منه وما لا يجوز . وتجد بسط القول على الفائض

وهو الربا بجميع انواعه . وبيان حرميته على الاطلاق لانه ادهى شر واعظم خطر اصيبت به الانسانية من قديم الزمان الى يومنا هذا .

ثم تجد احكام الوكالة والضمان والحوالة واحكام الصلح والاقرار واحكام القسمة والمزارعة والمساقات واحكام الوديعة والعارية واحكام الشفعة وهي لا توجد الا في شريعة الاسلام وغير المسلمين في بلادنا يقومون بها عند قضاة الشرع

واحكام الوصايا والهبات .

واحكام الاستحقاق والدعوى وتنظيم القيام بهما .

واحكام الغصب وما يتعلق به من الاعتداء على حقوق الغير وكيفية ارجاع الحقوق لاصحابها من ترجيع العين او ايجاب الضمان الى غير ذلك من التفاصيل .

ثم تجد في ضمن ذلك بابين من اهم الابواب يرجعان الى تنظيم الحالة الاقتصادية في الامة وهما باب الشركة وباب المضاربة والمراد من المضاربة ان يتفق شخصان على العمل احدهما بالمال والآخر بالبدن فيعمل الثاني بمال الاول ثم يكون الربح بينهما على النسبة التي يتفقان عليها من غير تحديد للمقدار ماليا فلا يجوز ان يتفقا على ان يكون لاحدهما خمسمائة فرنك وللاخر الف مثلا وانما يتفقان على ان يكون لاحدهما الثلث وللاخر الثلثان مثلا .

وهذان بابان كما قلت قريبا من اهم منظمات الحالة الاقتصادية في الامة لانهما من اسباب نمو الثروة ووفرة المال بين جميع الناس . لان من الناس من يكون صاحب مال ولا يكون قادرا على العمل ومنهم من يكون قادرا على العمل والانتاج والتجارة ولكن يعوقه عن ذلك فقره وعدم وجود المال الذي يعمل به في ذلك .

ومن الناس من يكون صاحب مال ولكنه مال قليل لا يصلح للقيام بعمل تجاري متسع النطاق فشرع الله المضاربة حتى يعمل الفقير القادر على العمل وينتفع الغني العاجز عنه وشرع الله الشركة حتى يتكون من المالين القليلين مال كثير يمكن صرفه في عمل تجاري يعود نفعه على الامة قاطبة ويمكن معه تكوين الشركات التجارية الكبرى . واحداث المصانع التي تغني الامة عن الفقر والاحتياج في كل شيء الى غيرها .

ومعلوم لديكم ايها السادة ان وفرة المال وانتشار الصنائع واقامة المعامل الضخمة

عند الامم الغربية انما قامت بواسطة الشركات وضم الاموال المتفرقة الى بعضها فتكونت من ذلك اموال وافرة امكن معها احداث اشياء عجيبة ما كان يخطر على البال امكانها . وهذا مشروع قنال السويس ومشروع آبار زيت الغاز في العراق وعدة مشاريع كبرى لا اظنكم تجهلونها . كلها انما قامت بواسطة الشركات وضم رؤوس الاموال الى بعضها .

هذا مجمل المعاملات المدنية في الشريعة الاسلامية عرضته عليكم باختصار اذ لا يمكن في هذا الوقت بسط القول فيه اكثر من ذلك .

خامسا - الاعمال التي تقع من الانسان ويكون منظورا فيها الى عموم الوسط الذي يعيش فيه

واما الاعمال التي تقع من الانسان ويكون منظورا فيها الى عموم الوسط الذي يعيش فيه . فهذا امر عظيم شديد الاهمية وهو ما نعبر عنه بالمصلحة العامة .

واذا كان جلب مصلحة لفرد واحد من الناس قد حث عليه الشارع ورتب عليه الثواب .

واذا كان الحاق مضرة بفرد واحد من الناس قد نهى عنه الشارع واوجب لصاحبه التنكيل والعقاب . فالسعي في المصلحة التي تعود على عموم الامة يكون عند الله اجزل ثوابا واعظم اجرا . والسعي في الحاق مضرة بعموم الامة يكون عند الله انكل عقابا واشد خسرا .

وقد امر الله كل فرد من افراد الامة بان يكون عضوا عاملا في امته يعمل لجلب الخير اليها والسعادة وحرم على كل فرد من افراد الامة ان يقوم بعمل من شانه ان يضر بعموم الامة ويلحق بها الاذى . ومن اجل ذلك كان الرجل الذي ينصب نفسه للدفاع عن المصلحة العامة ويبذل جهده في جلب الخير ودرء الفساد عن امته ارفع الناس قدرا بين امته واعلاهم شانا . نعم هذا الموقف ليس من المواقف السهلة لان صاحبه كثيرا ما يقع في الخطا عن حسن قصد فيعود عمله بضرر يلحق اذاه عموم الناس فتقف الامة في وجهه وتضعه في سجل الخائنين للامة والوطن .

فلذلك كان هذا الموقف من اصعب المواقف واشدها مراسا . فيجب على من يسلكه ان يحتاط لنفسه ويتثبت فيما يقوم به من الاعمال .

وفي مقابلة ذلك كان احقر الناس في نظر الامة واحقهم بلعنه الله والملائكة والناس اجمعين هم اولئك الذين يقفون من امتهم موقف العدو اللدود فيسعون في تفريقها وتشتيت شملها واظهارها بمظهر الشيء التافه الحقير ويكشفون اعوارها للاجانب عنها ويطلعونهم على مواقع الضعف منها فيزيدونها ضعفا وحقارة ويجرءون عليها غيرها من الامم فيكونون كما قال الشاعر ،

واخوان حسبتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادي

فما على كل فرد من افراد الامة الا ان يجعل عمله موجها الى مصلحة العموم وان يبذل جهده في النهوض بامته من اي جهة وباي وسيلة يتمكن بها من جلب النفع اليها ودفع الضرر عنها .

واذا كان الانسان غير قادر على جلب النفع فما عليه الا ان يقصر عمله على نفسه من غير ان يدخل في معامع تعود عليه وعلى امته بالوبال فخير الناس من عمل خيرا او امسك عن العمل .

سادسا — نظام الدولة في داخليتها

ما ذكرته لكم ايها السادة فيما مضى هو ما يتعلق بالاعمال الراجعة الى الافراد ونتنقل الان الى ما جاء في الشريعة من نظام الدولة في داخليتها .

لا يخفى عليكم ان الدولة لا تعد دولة منظمة ولا تحسب في ضمن الامم الراقية الا اذا احسنت السير في داخليتها ورتبت اعمالها واداراتها على طريقة تكون كافلة بحفظ النظام واستتباب الامن والاعتناء بمصالح المملكة والقيام على تهذيب الافراد وتعليمهم .

وهذه امور كلها جاءت مفصلة مبسوطة في شريعتنا الاسلامية ويمكن لنا ضبط الامور الاصلية التي تقام عليها الدولة في سبعة امور مرتبة كما ياتي ؛

اولا — الامارة

ثانيـا - القضاء
ثالثـا - التعليم
رابعـا - الجنـد
خامسا - تنظيم الميزانية المالية للمملكة وترتيب الادارات
سادسا - مصلحة المتوظفين في الدولة والعاملين فيها
سابعـا - قيام الدولة بصيانة الانفس والاموال والاعراض
فلنتكلم عليها واحدا بعد واحدا ،

اولا - الامـارة

اصل نظام الاسلام في الامارة وجوب نصب امام يكون خليفه لعموم المسلمين في جميع الاقطار . وهذا الخليفة يولي على كل مملكة ترجع اليه اميرا ينظر في شؤون تلك المملكة وفي مصالح الرعية ويمتد نظره على كل شيء يقع داخل مملكته وهـو المسؤول عنه وهو في نفسه يكون مسؤولا للخليفة الاعظم .

الا ان هذا النظام لم يطل العمل به في الاسلام وابتدىء نقضه من اليوم الذي تاسست فيه الدولة الاندلسية واعتبر مؤسسها نفسه مستقلا عن الخليفة الاعظم .

ثم دخلت على نظام الخلافة عدة اطوار حتى تاسست الخلافـة التركية وانتقل الملك الى بني عثمان فامتد نفوذهم على غالب الاقطار الاسلامية وصار الولاة والامراء يتولون من قبل الخليفة العثماني وبقيت بعض دول اسلامية مستقلة بنفسها لم تنضـو تحت راية الخليفة العثماني مثل الدولة المغربية حتى انها في اشد اوقات نفوذ الدولـة العثمانية وانتشار سلطانها لم تكن ترجع اليها في شيء ولا تدعو على منابرها للخليفة الاعظم .

هذا فيما مضى اما اليوم فقد ابطلت الخلافة ظلما من نظام الاسلام وقامت الجمهورية التركية مقامها . ولم تبق هنـاك ادنى رابطة تجمع بين ملوك الاسلام او تؤلف بينهم فالعلاقة التي بين ملك الافغان وملك العراق اليوم لا تزيد عن العلاقـة التي بين احدهما وبين دولة من دول اروبا كالدولة النمساوية والدولة الرومانيـة . وانقطع الدعاء فوق المنابر للخليفة واضمحلت حتى الروابط الادبية والامر كله لله .

وهذه لمحة قصيرة جدا تكفي في هذا المقام لاننا ذكرناه عرضا وليس هو المقصود بالذات

ثانيا ـ القضـاء

ولما كان انتظام امر المملكة من اول شروطه العدل بين الناس وايصال الحقوق الى اربابها وردع البغاة والظالمين عن اخذ اموال الناس بالباطل وكان لا بد لتحقيق ذلك من نصب حكم بين الناس ينصف الظالم من المظلوم ويردع البغاة والمعتدين فقد احدثت في الاسلام وظيفة القضاء وهي ارقى وظائف الدولة وانفذها كلمة واعلاها شانا بعد الامارة وكان احداث القضاة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد اولى عدة قضاة على كثير من الامصار الاسلامية

ومن امعن النظر في كتب الشريعة تجلى له مقدار اعتناء الشارع بالقضاء وبترتيبه وتنظيمه على ارقى اسلوب .

بحيث اذا تاملت في كتب الفقه التي مضت عليها عدة قرون ترى فيها احكم نظام بلغ اليه القضاء من اقدم العصور الى عصرنا هذا في جميع الممالك . فترى فيها ترتيب محكمة القضاء . وكيفية جلوس القاضي وكيف يعامل الخصوم وكيف يضع اسماءهم في ورقه ليتقدموا اليه على ترتيب مجيئهم الى المحكمة وكيف ان القاضي اذا جلس للقضاء يجلس معه كاتب يحرر عليه ما ينطق به من الاحكام وهو النظام الذي تسير عليه الآن جميع محاكم الدنيا . ثم ان ما يصدره من الاحكام يكتب في سجل المحكمة ويمضي عليه القاضي وتخرج منه نسخ الاحكام وكيف يرتب القاضي مكتبة المحكمة ويقسم بين النوازل ويضع كل نوع من الاحكام في جهة خاصة الى غير ذلك من الانظمة الراقية التي بعد ما بحثت كثيرا عن نظام المحاكم الآن لم اجد فيها الا ما يتمشى مع هذا الاسلوب او يقل عنه وليس فيها نظام ارقى منه بحال

ثم لما كان من اهم العوامل في تسيير القضاء مسالة البينات كان موضوع البينات وهو المسمى بالشهادات من اهم المواضيع التي اشتغل بها الفقه الاسلامي وبسط القول فيها فهناك الكلام على انواع الشهادات وعلى تفصيل المقبول منها والمردود وبيان الاسلوب الذي يقع به استفسار الشهود وبيان التعديل والتجريح وما يتعلق بهما من المطاعن

ثالثا ـ التعليم

ولما كان من اهم اسباب رقي الامة تعليم افرادها . واخراجهم من دائرة الجهالة والامية . لان الامة بدون علم لا تقدر على اتقان اي عمل . ولا تكون شؤونها منظمة . ولا تكون صالحة لمسايرة الرقي والتقدم . فقد جاءت الشريعة بالحث على التعلم . ومدح الله المتعلمين في قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وحصر خشيته في المتعلمين من عباده فقال : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ولا يخفى ما في هذا من التحريض البليغ على التعلم والحرص عليه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » . وقال صلى الله عليه وسلم : « العلم فريضة على كل مسلم »

ثم بعد ذلك لم تقتصر الشريعة على الحث على العلم بل وضعت من جملة ما وضعته مسالة التعليم المجاني . حتى لا يبقى عذر لجاهل .

وذلك بان قررت ان مرتبات المدرسين تؤخذ من ميزانية الدولة وهذا قد قررته كتب الفقه قاطبة وسنعود اليه قريبا .

كما قررت[1] اعطاء اعانات مالية للطلبة وقت تعلمهم ليستعينوا بها على اتمام معلوماتهم . وعلل الفقهاء ذلك بانهم ولان كانوا عند التعلم يقومون بعمل خاص نفعه بهم . الا انهم بعد انتهاء التعلم يصير نفعهم عائدا الى عموم الامة .

رابعا ـ الجند

ثم لما كانت الدولة لا تكون مهابة قوية الجانب موقرة في الداخل والخارج الا اذا كانت عالمة بفنون الحرب ولها جند نظامي مدرب على ارقى الاساليب

فقد جادت الشريعة في هذا الباب ايضا بالعجب العجاب . فتروت في كتب الفقه قسما عظيما يتعلق بالحروب وما يتعلق بها وهو الذي يعنونون له بالسير .

فقد ذكر في هذا الباب كيفية ترتيب الجند ومن هو الاحق بالقيادة العامة . ثم تنظيم الفتوحات . والعمل في الغنائم . وكيفية توزيعها وتخميسها . ونظام سير

---

(١) بحرج ٥ ص ١٢٧ من فصل الجزية ـ الطبعة الاولى بالمطبعة العلمية

الجيش وقت القتال . وما الذي يتخذه عند اشتداد القتال . وكيف يتخذ الجند لباسه .

وذكر فيه نظام الالوية والرايات . واتخاذ الشارات لكل فيلق من فيالق الجند حتى يتميز كل فريق عن الاخر .

وبالجملة يقع التعرض في هذا الباب لكل جليل وحقير من فنون الحرب حتى اللون الذي تكون منه الرايات والالوية .

قال صاحب البحر في كتاب السير[1] وينبغي ان تكون الوية المسلمين بيضاء . وان تكون الرايات سوداء . واللواء يجعل للامام . والرايات تجعل للقواد . وينبغي ان يجعل الامام لكل قوم شعارا حتى اذا ضاع رجل عن رايته نادى بشعاره . والشعار العلامة . والذي يعينها هو الامام . لكن ينبغي ان يختار الكلمة التي يجعلها شعارا كلمة تدل على الظفر بالعدو تفاؤلا بالتغلب عليه اه بتصرف يسير —

خامسا — ترتيب الميزانية للمملكة وترتيب الادارات

هذا العنوان لا يوجد بهذا اللفظ في كتب الشريعة . ولكن يوجد معناه . وانا اخترت التعبير به لترون انطباق مقررات الشريعة على ارقى النظامات واحدثها

ميزانية[2] الدولة في نظام الاسلام تتكون من اربعة اشياء

١ — الاول ما يحصل من الجزية والخراج ومن مال التغلبي ومما يهديه اهل الحرب للامام ومما ناخذه منهم بلا قتال

٢ — الثاني — ما يحصل من الزكاة والعشر

٣ — الثالث — خمس الغنائم

٤ — الرابع . اللقطات والتركات التي لا وراث لها ودية المقتول الذي لا ولي له

ويقول الفقهاء ان هذه الموارد كلها تجمع في ادارة واحدة تسمى (بيت المال) وينبغي وضع كل مال في بيت خاص به وهو ما نعبر عنه اليوم بالاقسام . وينبغي

---

(١) بحر ج ٥ ص ٧٩ الطبعة المذكورة — (٢) بحر ج ٥ ص ١٢٨

ان يكون لكل مورد حساب مستقل ، وازمة تضبط فيها المداخيل بتفصيل ، ورئيس كل قسم يعطي توصيلا في الخلاص لكل دافع .

هذه ميزانية الدولة من حيث المقابيض .

واما من حيث المصاريف . فالمصاريف موزعة على الموارد المذكورة بحيث ان كل مورد يخصص صرفه الى اشياء معينة . واذا نفد المال من احدى الخزانات فاننا لا نعطل المصلحة التي كان يصرف عليها منه وانما نتسلف له من الخزانة الاخرى حتى اذا جاءت الاموال لذلك المورد رجعنا ما تسلفناه الى خزانته .

١ — فالمورد الاول وهو ما يحصل من الجزية والخراج الخ

يصرف[1] منه على المصالح العامة . كسد الثغور واشتراء الخيل للجند والاسلحة والاستعداد للعدو وبناء القناطر والجسور وحفر الانهار وطي الآبار في الطرقات العامة وفي الصحاري . والمراد من الثغور المواقع التي يخشى منها الخطر على المملكة وهو ما يعبر عنه الآن بالاحتياطات الحربية . وهذا ما تقوم به الآن في بلادنا وزارة الحرب .

والمراد من القناطر المسالك المقامة فوق الاودية والانهار بشرط ان لا تتنقل . والمراد بالجسور ما كان مثل القناطر ولكنها ترتفع — مثل جسر حلق الوادي — وهذا ما تقوم به الآن في بلادنا ادارة الاشغال العامة .

ويصرف منه على بناء المساجد واصلاحها . وهو ما تقوم به اليوم جمعية الاوقاف ويعطي منه مرتبات القضاة والمفتين والمدرسين ورجال الجند وكل عامل في الدولة عملا يعود نفعه على العموم وهم ما نسميهم اليوم بالمتوظفين . فياخذ كل واحد من هؤلاء المقدار الذي يكفيه ليكون في ارغد عيش .

وهذا النوع تقوم به الآن في بلادنا عدة ادارات وهي الوزارة الكبرى ووزارة العدلية وادارة المعارف ووزارة الحربية وبقية الادارات بالنظر لعموم المتوظفين

ويعطى[2] منه ايضا مرتبات للتلامذة الذين بصدد التعليم كما نص على ذلك في التجنيس وفي فتح القدير

---

(١) بحر ج ٥ ص ١٢٧ — (٢) بحر ج ٥ ص ١٢٧

فهل بعد هذا رقي ؟ وهل بعد هذا نظام ؟

٢ - واما المورد الثاني وهو ما يحصل من الزكاة والعشر

فمصرفه ما نص عليه القرءان في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

وفي هذه الانواع تفصيل ليس هذا المقام صالحا له .

٣ - واما المورد الثالث وهو خمس الغنائم فهذا يقسم[1] على ثلاثة انواع وهم اليتامى والمساكين وابناء السبيل .

٤ - واما المورد الرابع وهو ما تعثر عليه الدولة من الاموال ولا تعرف مالكه وما تاخذه من تركات الناس الذين لا وارث لهم وما تاخذه من دية المقتول الذي لاولي له فهذا يصرف[2] على عدة مصالح منها الصرف على اللقطاء اي المهملين من الاولاد الذين لا كافل لهم ويصرف منه على الفقراء الذين لا اولياء لهم فياخذون منه نفقتهم وادويتهم واجور الاطباء الذين يعالجونهم ويكفن منه مواتهم ويدفع منه على الجنايات التي تصدر منهم . وهذا تقوم به في بلادنا التكية وبيت المال بعد التطفيف الكثير الذي وقع في نفوذها ويشبه في غير بلادنا الملاجىء التي تهيئها الدول لايواء الفقراء والعاجزين عن العمل والتكسب .

هذا يا سادتي هو نظام الميزانية في الدولة الاسلامية قبضا وصرفا وتنظيم الادارة وبيان كيفية تسييرها . فهل وصلنا الى ما ارقى منه بعد اربعة عشر قرنا . وقد ذكرته لكم كما هو مذكور في كتب الفقه ولم ازد عليه الاشيئا من الترتيب والتنظيم

سادسا - مصلحة المتوظفين في الدولة والعاملين فيها

قد يغني عن هذا العنوان العنوان قبله لاني ذكرت فيه كيفية اعطاء المرتبات للمتوظفين وانهم ياخذون المقدار الكافي لهم ولعائلاتهم . وهذا هو مصلحة المتوظفين

---

(١) بحر ج ٥ ص ٩٨ (٢) بحر ج ٥ ص ١٢٨

ولكني وضعت هذا العنوان لاذكر لكم تحته شيئا عجيبا يزداد لكم به وضوحا مبلغ اعتناء الدولة الاسلامية بالتنظيم وبمراعات مصالح المتوظفين .

ذلك ان من ارقى ما وصل اليه الاعتناء بالمتوظفين في الدول الراقية اليوم هو اعطاء مرتبات لابنائهم سواء في حياة الاباء او عند موتهم وهذا النظام بعينه مقرر في الاسلام .

فالمورد الاول الذي ذكرناه سابقا ذكر فيه الفقهاء انه كما يعطي منه مرتبات اولئك الناس الذين تقدم ذكرهم كذلك[1] تعطى منه مرتبات لابنائهم في الحياة وبعد الموت .

لم ينص على ذلك المتاخرون من الفقهاء بل ذكره[2] في كتاب الخراج الامام ابو يوسف صاحب ابي حنيفة رضي الله عنه وحافظ مذهبه . حيث قال : « ان من كان مستحقا من بيت المال وفرض له استحقاقه فيه فانه يفرض لذريته ايضا تبعا له ولا يسقط بموته » اه .

وقال الزاهدي[3] في حاويه : « الفتوى على انه يفرض لذراري العلماء والفقهاء والمقاتله ومن كان مستحقا في بيت المال ولا يسقط ما فرض لذراريهم بموتهم » اه .

وزاد المقدسي فقال « ان اعطاءهم بعد الموت اولى لشدة احتياجهم سيما اذا كانوا يجتهدون في سلوك طريق آبائهم » اه .

سابعا ـ قيام الدولة بصيانة الانفس والاموال والاعراض

ثم ان الدولة لا يمكن ان تسير بهدوء وان تشتغل بالترقيات العلمية والادبية الا اذا كانت المملكة مستتبا فيها الامن سائدا فيها النظام وذلك لا يتم الا باشهار سيف العدل على البغاة والمعتدين من الناس حتى يقطع دابرهم اذ ليس كل النفوس يتاثر بالمواعظ والآداب . وتقنعه الحجج والنصوص بل هناك نفوس شريرة لا ترتدع الا بالقوة القاهرة والعقوبات الشديدة .

---

(١) بحر ج ٥ ص ١٢٧ من فصل الجزية — (٢) حاشية ابن عابدين على البحر ج ٥ ص ١٢٧ من فصل الجزية — (٣) من المرجع نفسه اعلاه

وقديما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . فلذلك جاءت الشريعة بفرض اشد العقوبات على كل جناية او جريمة فيها التعدي على الانفس او الاموال او الاعراض او الاداب العامة .

فشرع القصاص والدية لقتل الانفس

وشرع قطع اليد للسرقات

وشرع الرجم والجلد للزنا

وشرع الجلد لشرب الخمر

وشرع الجلد وسقوط الشهادة للقذف . واقرب شيء لسقوط الشهادة في زماننا ما نسميه بسلب الحقوق المدنية .

ثم شرع التعزير بعد ذلك لجميع الجرائم التي لم يرد فيها الحد .

والتعزير باب واسع جدا يشمل جميع انواع العقاب التي يلحقها الحاكم بالجاني مما يراه مناسبا لجريمته كافيا لزجره وردعه .

ويمكن ان نقول ان التعزير هو ما نسميه اليوم باحكام الجنح .

وبذلك قد تم في الفقه الاسلامي ما نسميه اليوم بالقانون المدني والقانون الجنائي والقانون الجناحي .

ومن جملة المصالح الدولية التي جاءت بها الشريعة مسالة السعي في احياء الموات من الارض وتوزيعه على الفلاحين وتمليك من احيى الارض بها . ومسالة المياه وتقسيمها وتنظيمها بين مستحقيها في الاراضي السقوية . وهذا ما بوب له الفقهاء باحياء الموات والشرب . ولا شك انه من المصلحة العامة لانه بمقدار ما يحيى من الارض بمقدار ما يكثر نتاج الدولة ويتوفر دخلها . وذلك لا محالة يفضي لزيادة التحسين والرقي بالبلاد .

وقد جاءت احكام ذلك مفصلة في الفقه موضحة غاية الايضاح . بحيث بلغت ما بلغت هذه النظم الموضوعة الآن فانها لا تصل الى النظام الذي اشتمل عليه الشرع الالاهي .

هذا ما يتعلق بالامر السادس من الامور التي يتكون منها نظام الحياة وهو

ترتيب الدولة في الداخل وانما بسطت القول فيه لما اشتمل عليه من اقوى الادلة على رقي الدولة الاسلامية . وحسن نظامها . واستقامة سلوكها .

ايها السادة :

هذا مجمل ما اشتملت عليه الشريعة الاسلامية من الاحكام والتكاليف والانظمة بسطته لكم بصورة مختصرة ولكنها والحمد لله جاءت كافية لتكوين صورة واضحة جلية لعموم ما اشتملت عليه شريعتنا الغراء من الاحكام والانظمة والتراتيب الكافية بتكوين امة تكون ارقى الامم واعلاها شانا واحسنها ترتيبا سواء في الحالات الفردية او الاجتماعية وسواء في النظامات المالية او الحربية .

اردت بها ان اضع امامكم دليلا قاطعا على مقدار الرقي العجيب والنظام الباهر والاحكام في الوضع الذي اشتملت عليه شريعتنا فنحن لما نقول : « ان شريعة الاسلام ارقى الشرائع وانها احكم الانظمة واجمعها لكل ما يتعلق بالحياة الدنيا والآخرة » لا نكون في ذلك مجازفين ولا مبالغين بل نقول شيئا مؤيدا بالحجة والبرهان .

فهذه الشريعة بعد ما وقع عرضها عليكم وتصويرها لكم بهذه الصورة . هل لكم او لغيركم ممن لم يسمعني ولكنه سيقرا كلامي من بعد ان تلاحظوا فتثبتوا لنا نظاما من نظم الحياة لم تشتمل عليه او مصلحة من المصالح غفلت عنها . اللهم الا ما غفلت انا عن ذكره اودعى المقام الى اختصاره والتذكير يدفع النسيان والايضاح يرفع الاجمال . فلم يبق حينئذ الا النظر في حظ المسلمين من العلم بشريعتهم والعمل بها .

فهل يسيرون في حياتهم على مقتضى ما جاءت به الشريعة ؟

وهل يراعون في انظمتهم ما دعت اليه الشريعة ؟

وهل يربون اولادهم وانفسهم على مقتضى ما سنته الشريعة ؟

وبعبارة مختصرة . هل هناك فرق في الحياة العملية بين المسلمين وغيرهم ؟

اريد ان اجيب عن هذه الاسئلة . بانيا الجواب على المشاهدة والبحث فاقول :

اما علم المسلمين بشريعتهم فنصيبهم عن ذلك ضعيف جدا لان غالب المسلمين اليوم اميون والمتعلمون منهم يتعلم غالبهم على غير الطريقة الشرعية . ويزاولون غير العلوم الشرعية .

وبقي نزر يسير من المتعلمين يزاولون العلوم الشرعية ويقرءونها . وهؤلاء نسبتهم على سبيل التقريب نسبة الاثنين من المائة وهي نسبة ضئيلة جدا لا تغني قتيلا ولا تشفي غليلا .

واما من حيث العمل بالشريعة الاسلامية في جميع ما جاءت به مما تقدم بيانه فالجواب عن هذا السؤال مخجل للغاية .

لاننا بعد البحث عن احوال عموم الحكومات الاسلامية وجدناها تسير في جميع تراتيبها وانضمتها ومعاملاتها على طريقة منافية لما جاء به الشرع بل تستبيح اشياء جاء الشرع بتحريمها . ونضرب المثل بامرين منتشرين في غالب الممالك الاسلامية مشمولين برعاية تلك الدول مع ان الشرع قد جاء بتحريمهما اشد التحريم بل اعتبرهما اكبر الكبائر بعد الشرك بالله . وهما الزنا والتعامل بالربا .

فكثير من الدول الاسلامية اصدرت قوانين في تجديد فائض الربا وتنظيم دفعه وهذا اقرار منها له واسرار على فعله، واصدرت قوانين ايضا تتعلق بالزنا وهو اقرار منها له واسرار على فعله .

وهذا لا عذر فيه للافراد . ولا يدفع عنهم من عقاب الله وعذابه شيئا . فواجب كل فرد ان يبذل جهده لئلا يقع فيما حرمه الله . وواجب كل فرد ان لا يقدم على فعل اي شيء الا بعد ان يعلم حكم الله فيه .

واما من حيث العقوبات التي فرضها الله على المعاصي فهي معطلة في جميع الممالك الاسلامية على الاطلاق . الا ما يحكي من صور نادرة وقعت في بعض ممالك الاسلام .

واما من حيث الاخلاق التي جاء بها الشرع فالمسلمون اليوم ابعد الناس عنها واشدها تمسكا بالعمل بنقيضها فالاعراض مباحة والحرمات منتهكة والناس يكاد ياكل بعضهم بعضا من شدة ما وقرت به انفسهم من التباغض والتحاسد والتقاطع .

واما من حيث المعاملات . فنظام التعامل . بين غالب الافراد غير مقام على اساس الشرع بل ولا يهمهم ان يكون عملهم جاريا على مقتضاه . وانما هو مبني على القوانين التي لا علاقة لها بالشرع او تتصل به بسبب ضعيف .

واما من حيث المصالح العامة فقل من الناس من ينظر اليها او يقرا لها حسابا او يقيم لها وزنا . وغالب اعمال الناس انما تبنى على المصالح الشخصية والمنافع الذاتية

هذه حالة المسلمين اليوم او حالة غالبهم ان اردنا الاحتياط في التعبير . ثم العجب منهم بعد ذلك تراهم يقولون في كل مناسبة كلمات كثيرة فيقولون : « الاسلام عام خالد الاسلام صالح لكل زمان ومكان . الاسلام دين صالح لنظام الدنيا والاخرة » الى غير ذلك من الاوصاف .

وانا اتعجب من هذا غاية العجب . لا شكا في صدق هاته الاوصاف ولكن اتعجب من كون المسلمين يكتفون بهذه الكلمات ولا يفكرون في العمل بمقتضى الشرع .

واي عار واي فساد اشد من كونك تعرف الشيء الصالح وتعرف قيمة صلاحه ثم انك عند العمل لا تعبا به ولا تلتفت اليه .

اليس هذا من افضع الخذلان . وانكى البهتان

ثم هناك فريق آخر من المسلمين يهتم كثيرا بكلام علماء الغرب في الدين الاسلامي فيترجم كلامهم ويعلق عليه ويبتهج به اشد الابتهاج ثم يغفل مع ذلك عن ان الشريعة في زماننا معطل غالبها ، مهمله من قبل اصحابها والمتدينين بها . وحينئذ فاي معنى لشهادات الاجانب للدين الاسلامي اللهم الا ان تزداد ضمائر المسلمين توبيخا لهم وتقريعا على اني لا ارى في شهادات الاجانب شيئا كبيرا لان الاسلام لا يتوقف حسنه وفضله على شهادات الاجانب فيه .

ورغما عن تعطيل اصول الشريعة واهمالها وانصراف الناس واقبالهم على غيرها فانك تجد كثيرا من الناس والعلماء يتباحثون في زماننا هذا في امور تافهه لا ينبني عليها عمل خارجي . ويسكتون عن تعطيل غالب الشريعة وترك العمل بها .

فتجدهم يتباحثون في كرامات الاولياء وفي حكم التوسل بهم وهل يجوز بالحي والميت ام بالحي فقط . ويتباحثون في صلاة ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من رجب . ويتباحثون في ان رفع الصوت بالذكر امام الجنائز هل يجوز ، وفي ان السبحة يجوز استعمالها ام لا . وهل يجوز رفع الصوت بالقراءة في المساجد ام لا . وفي غير ذلك من الامور التي لا ينبني عليها شيء عظيم .

ويسكتون في مقابلة ذلك عن المحرمات التي صارت مباحة وعن الفرائض التي صارت مهملة .

وانا ارى ان اوكد الواجبات التي يتحتم القيام بها على رجال الاصلاح ان كانوا يريدون حقيقة الاصلاح امران .

اولهما — المصير في ارجاع الامة الاسلامية الى العمل بشريعتها بجميع ما اشتملت عليه .

والثاني — السعي في النهوض بالامة الاسلامية من الناحية المادية حتى تضاهي الامم الحية وتنافسها ولا تبقى عاجزة عن كل شيء محتاجة الى غيرها في كل شيء .

هذا ما اردت ان احدثكم به ايها السادة وارجو منكم العفو عما وقع مني من الخطاء او التقصير او عدم الاعتدال في التفكير . والله يكلؤكم بحفظه ورضاه والسلام عليكم ورحمة الله .

تونس في يوم الخميس في ٢١ رمضان سنة ١٣٥٣

محمد المختار بن محمود

كان الله له

شذرات

موقف المرأة المسلمة تجاه التيار الحاضر

خطبة ملكة بهوبال على سيدات عاصمتها

« ايتها السيدات ،

علينا ان نحمد الله الذي ايقظ المسلمين الآن بعد ان ناموا قرونا عديدة . بدات النهضة الشرقية الاسلامية الحديثة من اوائل القرن العشرين وعم الشعور معظم الشعوب الاسلامية بانحطاطها وضعفها . ولقد تاثرت النساء بهذه النهضة اكثر من الرجال وذلك لان حالتهن كانت اسوا من حالة الرجال

الا انه لا ينبغي ان ننسى ان الامم اذا دب فيها الشعور بانحطاطها اشتدت فيها الرغبة في تبديل حالتها وهذا الامر هو ما نسميه بالانقلاب . فاذا بدا الانقلاب في امة اختل توازنها العقلي ، لانها تصبح متحمسة للغاية ومندفعة الى تغيير او نقض كل ما تجد امامها من القديم ، ولذلك كان هذا الطور الانقلابي احرج الاطوار الاجتماعية واشدها خطرا ، وهو قد ينتهي بالاصلاح وقد ينتهي بالشر الكبير .

واننا نحن معشر النساء نجتاز الآن هذا الطور الخطر ولذلك يجب ان نكون على حذر تام من العواقب . واني انا اميل شخصيا الى ان تكون تربية المراة دينية . واقصد بالتربية الدينية ان تلقن العلم الديني قبل كل شيء ثم تقبل على العلوم الاخرى التي تفتح عينها وتؤهلها لاداء ما عليها من الوظائف الجنسية والاجتماعية وهذا ما دعاني الى تاسيس مدرسة نسوية في عاصمة امارتي هذه ، وهذه المدرسة تدار تحت مراقبتي الشخصية .

ان المدنية الاوربية الحديثة ليست الا رد الفعل للحالة التي كانت سائدة لتلك القارة الى القرن السادس . ولقد كانت هذه الحالة سيئة جدا وشديدة على النساء .

فلما بدا الانقلاب اندفعت فيه المراة الغربية. واستردت حقوقها المغصوبة من الرجال ومن المجتمع المملوء بانواع من الظلم والفساد .

ولكن المراة الغربية لم تتبصر في العواقب ، بل تطرفت وفرطت فجاوزت حدود الاعتدال حتى كادت تكون مصيبة على المجتمع الاروبي بل مصيبة على نفسها . ولذلك نرى ان عقلاء الغرب بدأوا يفكرون في المسالة النسوية من جديد .

ان الله تعلى قد خلق المراة وجعلها سكينة للبشر ، فوظيفة المراة الكبرى هي احداث السكينة في القلوب ، ولكن المراة ان كانت لا تؤهل نفسها لاداء هذه الوظيفة او ترفض ان تؤديها فهي تخرق المشيئة الالهية وتخرج عن فطرتها ، وهذا الخروج بلا شك سيجر عليها وعلى المجتمع شرا عظيما .

اني ارى الشريعة الاسلامية قد ضمنت حقوق المراة خير ضمان . وقد درست هذه الشريعة السمحة فوجدتها تسوي بين الرجل والمراة ، وتخولها الحرية في مجاراة الرجل في مضمار الحياة والاعمال الاجتماعية ، فلها كامل الحرية ان تحضر الدروس العلمية في الجامعات وتصلي في الجوامع وتخطب في المجامع وتخوض في غمار الحرب في الميادين واني اعتقد كل الاعتقاد بان النساء ان تمسكن بالشريعة الاسلامية يجدن الحياة لانفسهن لذيذة ، ويتمكن من خدمة البلاد خدمة جليلة » .

الايطاليون وتبرج المرأة

صرح السنيور توراتي سكرتير الحزب الفاشيستي ان النساء خلقن للمنزل لا لاندية الرقص . وان حكومة الفاشيست لا تطيق جنون الرقص . فخير للمراة ان تتعلم اطلاق الرصاص خير من ان تتعلم الرقص .

﴿ تضمين ﴾

ومعظم كيدهم مستعظم لكن على انفاذه لا يقدروا
(قد بدت البغضاء من افواههم لنا وما تخفى الصدور اكبر)

عمر يتبع امور الرعية

وحقوق المراة في الاسلام

اتي عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بفتى امرد قد وجد قتيلا ملقى على وجهه بالطريق فسأل عمر عن امره واجتهد فلم يقف له على خبر ولم يعرف له قاتل . فشق ذلك عليه وقال اللهم اظفر لي بقاتله . حتى اذا كان راس الحول . وقريبا من ذلك وجد صبي مولود ملقي بموضع القتيل . فاتى به عمر . فقال ظفرت بدم القاتل - ان شاء الله - فدفع الصبي الى امراة وقال لها قومي بشأنه وخذي منا نفقة وانظري من ياخذه منك . فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فاعلميني . فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمراة : سيدتي بعثتني اليك تبعثي بالصبي لتراه وترده اليك -

قالت : نعم اذهبي به اليها وانا معك .

فذهبت بالصبي والمراة معها حتى دخلت على سيدتها . فلما راته اخذته فقبلته وضمته اليها . فاذا هي بنت شيخ من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاخبرت عمر خبر المراة

فاشتمل عمر على سيفه ثم اقبل الى منزلها . فوجد أباها متكئا على باب داره .

فقال : يا ابا فلان ما فعلت ابنتك فلانه

قال : يا امير المؤمنين جزاها الله خيرا هي من اعرف الناس بحق الله تعالى وحق ابيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها

قال عمر : قد احببت ان ادخل اليها فازيدها رغبة في الخير واحثها على ذلك

فقال : جزاك الله خيرا امكث مكانك حتى ارجع اليك . فاستاذن لعمر

فلما دخل عمر عليها امر كل من كان عندها فخرج وبقيت هي وعمر في البيت ليس معهما احد .

فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقني والا قتلتك . وكان عمر لا يكذب

فقالت : على رسلك يا امير المؤمنين فوالله لا صدقتك . ان عجوزا كانت تدخل علي فاتخذتها اما . وكانت تقوم في امري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة

البنت . فامضت بذلك حينا . ثم انها قالت لي يا بنيه انه قد عرض لي سفر ولي بنت في موضع اتخوف عليها ان تضيع . وقد احببت ان اضمها اليك حتى ارجع من سفري . فعمدت الى ابن لها شاب امرد فهيأته كهيئة الجارية واتتني به لا اشك انه جارية . فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية . حتى اعتقلني يوما وانا نائمه فما شعرت حتى علاني وخالطني . فمددت يدي الى شفرة كانت الى جانبي فقتلته ثم امرت به فالقي الى حيث رايت . فاشتملت منه على هذا الصبي . فلما وضعته القيته في موضع ابيه . فهذا والله خبرهما على ما اعلمتك

فقال عمر : صدقت بارك الله فيك . ثم اوصاها ووعظها ودعا لها وخرج وقال لابيها :

بارك الله في ابنتك فنعم الابنة ابنتك وقد وعضتها وامرتها . فقال الشيخ وصلك الله يا امير المؤمنين وجزاك خيرا عن رعيتك .

﴿ نذير الشيب ﴾

لشهاب الدين احمد المنصوري السلمي من اعيان ادباء القرن التاسع .

مضى ما حلا من شبابي ومر ... واقمر بالشيب ليل الشعر
ومذ زحف الشيب في لمتي ... تقهقر جيش الصبا وانكسر
وكان الشباب كحب دنا ... فزار ولكن كلمح البصر
نعمت به برهة وانقضى ... سريعا فكان كشيء ندر
اظن لسرعة مر الصبا ... مشيبي لليل شبابي سحر
وما الشيب عار ولكنه ... نذير وفيه لنا مزدجر
وبالجملة الشيب نور به ... يلوح الوقار ويبدو الخفر
ومنه لمحياي في روضة ... تبسم فيها ثغور الزهر
ولم لا يتم سروري به ... وقد شبت في دين خير البشر
محمد السيد المصطفى ... شفيع العصاة غدا في صقر

لقد ساد قوم به آمنوا ... فعزوا وذل به من كفر
فوا عجبا لقلوب قست ... وقد لان من اخمصيه الحجر
ومن مهج قاتها ريها ... وقد فاض من اصبعيه نهر
نبي ترقى لاعلا العلى ... وقد فاز من ربه بالنظر
دنا فتدنى لمحبوبه ... وفي قاب قوسين كان المقر
فما كذب القلب ما قد راى ... وما زاغ منه هناك البصر
وجبريل كان له خادما ... مطيعا له ان نهى او امر
راى قمر الم انواره ... تلوح فحام وشق القمر
وشاهد غصن النقا قده ... فجاءت من السوق تسعى الشجر
ايا رب شيطان ذنبي طغى ... واعوزني منه اخذ الحذر
وانت القدير على دفعه ... بحولك يا من علا فاقتدر
فانت العياذ وانت الملاذ ... وانت الغياث وانت الوزر
فاني وان عظمت زلتي ... لارجوك يا خير مولى غفر
فصل وسلم على المصطفى ... واصحابه الواضحين الغرر
دوام الليالي ووزن الجبال ... وغد الرمال وقطر المطر

انتهت

[redacted]

بن محمود .

الاسلام ، دين عقيدة وعمل .

297
B451A

[redacted]

OCT 1 '52

[redacted]
بن محمود ،محمد المختار
الاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002901

297
B451iA
C.1